تفسير إبن كثير

فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

وهذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : (فإن تولوا) أي : تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة ، (فقل حسبي الله) أي : الله كافي ، لا إله إلا هو عليه توكلت ، كما قال تعالى : (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) [المزمل : 9] .(وهو رب العرش العظيم) أي : هو مالك كل شيء وخالقه ، لأنه رب العرش العظيم ، الذي هو ، سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى ، وعلمه محيط بكل شيء ، وقدره نافذ في كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل .قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني محمد بن أبي بكر ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر السورة .وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا عمر بن شقيق ، حدثنا

أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، رضي االله عنه ؛ أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر ، رضي االله عنه ، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة (براءة) : (ثم انصرفوا صرف االله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) [التوبة : 127] ، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن . فقال لهم أبي بن كعب : إن رسول االله صلى االله عليه وسلم أقرأني بعدها آيتين : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) إلى : (وهو رب العرش العظيم) قال : " هذا آخر ما أنزل من القرآن " قال : فختم بما فتح به ، باالله الذي لا إله إلا هو ، وهو قول االله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء : 25]

غريب أيضا .وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد االله بن الزبير ، رضي االله عنه ، قال : أتى الحارث بن خزمة بهاتين الآيتين من آخر (براءة) : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى عمر بن الخطاب ، فقال : من معك على هذا ؟ قال : لا أدري ، واالله إني

لأشهد لسمعتها من رسول االله صلى االله عليه وسلم ووعيتها وحفظتها . فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتها من رسول االله صلى االله عليه وسلم - ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ، فانظروا سورة من القرآن ، فضعوها فيها . فوضعوها في آخر (براءة) .وقد تقدم أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق ، رضي االله عنهما ، بجمع القرآن ، فأمر زيد بن ثابت فجمعه . وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك . وفي الصحيح أن زيدا قال : فوجدت آخر سورة " براءة " مع خزيمة بن ثابت - أو : أبي خزيمة وقدمنا أن جماعة من الصحابة تذكروا ذلك عن رسول االله صلى االله عليه وسلم ، كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها ، واالله أعلم .وقد روى أبو داود ، عن يزيد بن محمد ، عن عبد الرزاق بن عمر - وقال : كان من ثقات المسلمين من المتعبدين ، عن مدرك بن سعد - قال يزيد : شيخ ثقة - عن يونس بن ميسرة ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسى : حسبي االله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، سبع مرات ، إلا كفاه االله ما أهمه .وقد رواه ابن عساكر في ترجمة " عبد الرزاق بن عمر " هذا ، من رواية أبى زرعة الدمشقي ، عنه ، عن أبي سعد

مدرك بن أبي سعد الفزاري ، عن يونس بن ميسرة بن حليس ، عن أم الدرداء ، سمعت أبا الدرداء يقول : ما من عبد يقول : حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، سبع مرات ، صادقا كان بها أو كاذبا ، إلا كفاه الله ما همه .وهذه زيادة غريبة . ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد ، عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ، عن جده عبد الرزاق بن عمر ، بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة . وهذا منكر ، والله أعلم .آخر سورة (براءة) ، والحمد الله وحده .